الانتفاضة المقاتلة

تواصلت الانتفاضة الشعبية في الارض الفلسطينية المحتلة خلال شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨، لتأخذ دوراً متزايداً في تحريك الاوضاع السياسية، بل وفي تحديد وجهة سير الأحوال العسكرية في المنطقة. وانعكس ذلك، مثلاً، في نمو العمل العسكري المضاد لاسرائيل المنطلق عبر الحدود اللبنانية، وفي انفراج أحوال الفلسطينيين في مخيمات لبنان.

فقد استمرت المواجهات العنيفة بين جماهير الأرض المحتلة وبين قوات الاحتلال الاسرائيلي مع مطلع العام الجديد، وتكاثرت المعالم العسكرية لتؤكد اندراجها في الحرب الفلسطينية العسكرية. فقد تعامل الجيش الاسرائيلي مع مخيمات ومدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة كمناطق معادية يحتاج الى محاصرتها واخضاعها بالقوة. وتم فرض نظام حظر التجول في أغلبها، ورافق ذلك تكثيف استخدام الغاز المسيل للدموع والعيارات المطاطية، اضافة الى الذخيرة الحية؛ كما تكثف استخدام الآليات المدرعة والطائرات المروحية لتجاوز الحواجز والاطارات المحترقة، ولقذف المتظاهرين من الجو. وقدرت مصادر مطلعة في الارض المحتلة عدد الجنود الذين ارسلوا الى المناطق المحتلة لتعزيز القوات الموضوعة هناك بحوالى عشرة آلاف حتى منتصف الشهر (السفير، بيروت، ١١/١/١٩٨٨) علماً بأن نائب رئيس هيئة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي، الجنرال ايهود براك، أكد ان حجم قوات الاحتلال قد زيد بنسبة أربعة اضعاف منذ أوائل كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ (المصدر نفسه، ٢٧/١/١٩٨٨). واشتمل اسلوب فرض نظام حظر التجول على عملية فرض الحصار التمويني والاقتصادي على مخيمات الضفة والقطاع، حيث منع جنود العدو دخول بعض الشحنات الغذائية، وكذلك تحرّك الأهالي والعمال. ويذكر ان المسؤول عن هذه السياسة هو وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحق رابين، وهو، أيضاً، الذي أوعز الى حكومة مناحم بيغن بتضييق الخناق حول بيروت خلال حرب العام ١٩٨٢، عبر قطع الماء والكهرباء والطعام والمواد الطبية والوقود (ميدل ايست انترناشيونال، ٢٣/١/١٩٨٨). ومما عزز حالة الحصار والمواجهة الشاملة قرار الجيش الاسرائيلي اعلان مناطق عديدة «مناطق عسكرية مغلقة» تمنع عنها الزيارة من قبل الصحافيين وموظفي وكالات الغوث وممثلي الامم المتحدة.

تجسّدت حدة المواجهة، حتماً، بتراكم الاصابات البشرية والمادية لدى الجانبين. اذ استشهد ٢٠ مواطناً فلسطينياً حسب بعض الاحصاءات المستقلة (المصدر نفسه)، بينما يدل احصاء البيانات اليومية على استشهاد ٢٢، عدا جرح ما لا يقل عن ١٥٠ في اثناء التظاهر. وتضاف هذه الارقام الى ٢٦ شهيداً خلال ٨ ـ ٣١ كانون الأول (ديسمبر) الماضي، وحوالى ١٣ خلال الاسابيع الخمسة التي سبقت ذلك التاريخ (المصدر نفسه، ٩/١/١٩٨٨).

وكان نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية عضو اللجنة المركزية لـ «فتح»، خليل الوزير (أبو جهاد)، أكد، في وقت سابق، ان حصيلة الصدامات الشعبية مع قوات الاحتلال، حتى ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧، هي ٣٦ شهيداً و ٤٥٥ جريحاً، مما يدل على بلوغ المجموع العام للسنة الماضية ٧٥ شهيداً وما يزيد على ٦٠٠ جريح (السفير، ١٦/١١/١٩٨٧).

ويجدر التأكيد، في مقابل التضحيات الفلسطينية، ان الجرأة على مقابلة الرصاص والدروع بالحجارة قد تتوجت باصابة العديد من أفراد العدو العسكريين ومن المستوطنين. ويذكر ان رئيس الاركان الاسرائيلي، دان شومرون، قد أكد، في وقت سابق، ان خسائر جيشه بلغت ٢٦ جريحاً